الرِّسَـــالة ٢١٥

النَّاسُ أربَعُ فِئَات.. فِئَة وَاحِدَة مُثمِرَة!

(Arabic –Four Kinds of people… One only bears fruit.)

أحبّائِي.. حَديثَنَا اليَوْمَ مَوْضُوعُهُ: **النَّاسُ أربَعُ فِئَات.. فِئَة وَاحِدَة مُثمِرَة!**

ومِنْ إنجيل مُرقس الإصْحَاح الرّابع نقرأ الأعْدَادَ مِنَ السّابع عَشَرَ إلى التَاسِع عَشَرَ :

" وسقط آخَرُ فِي الشّوكِ فطلعَ الشّوكُ وخَنَقهُ فلمْ يُعْطِ ثمراً. وهؤلاءِ هُمْ الذينَ زُرِعُوا بَيْنَ الشّوكِ.. هؤلاءِ هُمْ الذينَ يَسْمَعُونَ الكلِمَة. وهُمُومُ هذا العَالم وغُرُور الغِنَى. وشَهَوَاتُ سَائِر الأشْيَاءِ. تَدْخُلُ وتَخْنُقُ الكلِمَة فتَصيرُ بلا ثمَر". [١]

إنْ لمْ نكنْ قدْ استَمتعْنَا بحُضُور المُؤتمرَاتِ المَسيحيّةِ الضّخْمَةِ للتبْشير بخَلاص الرّبِّ يَسُوعَ. فلا بُدّ أنّنَا استَمْتعنَا بمُشَاهَدَتِهَا على شَاشَةِ التلفزيُون وَهِي تضُمُّ الآلافَ مِنَ البَشَر. قدْ يَصِلُ أحْيَاناً عَدَدُ الحَاضِرِينَ إلى المليُون. ذلِكَ فِي سَاحَاتٍ مُعَدّةٍ بكلِّ مَا يلزَمُ كَيْ تستَمِعَ تِلْكَ الجُمُوعُ إلى كلِمَةِ اللهِ. وفِي نِهَايَةِ كلِّ اجتِمَاع يتقدّمُ الآلافُ إلى الأمَام مُعترفينَ بخَطايَاهُمْ. مُعلِنينَ حَاجتَهُمْ إلى خَلاص المَسيح. رَافِعينَ صلوَاتِ التوْبَةِ وتسليم الحَيَاةِ للرّبِّ وعَزْم على السّيْر مَعَ اللهِ. وَهُمْ مُخلِصُونَ فِي إعْلان حَاجَتِهِمْ فِي صلوَاتِهِمْ إلى الخَلاص. جادِّينَ فِي تسليم حَيَاتِهِمْ وبَدْءِ عَهْدٍ جَديد. ولكنْ بَعْدَ انتِهَاء المُؤتمرَاتِ وانخرَاطِ هُؤلاءِ فِي الحَيَاةِ العَمليّةِ واحتكَاكِهِمْ بالمُجتمَع مِنْ جَديد. يُلاحَظ أنّ بَعْضاً مِنْهُمْ بلا ثمَر. فليْسَ الجَميعُ مُثمِرينَ مَعَ أنّهُمْ كَانوا جَادِّينَ فيمَا أعلنوهُ وعَاهَدُوا اللهَ بهِ.[٢]

قدْ نتسَائلُ: ألمْ يَشْرَبْ الجَميعُ مَنْ يَنبُوع وَاحِدٍ فِي المُؤتمرَاتِ؟. ألمْ يَأكلوا على مَائِدَةٍ رّوحيّةٍ وَاحِدَةٍ ومِنْ طعَام وَاحِدٍ؟. بكلِّ تأكيدٍ كَانَ الجَميعُ يتمتّعُ بما يُقدّمُ مِنْ رَسَائِلَ حيّة قويّة مَمْسُوحَة بمِسْحَةِ الرّوح القدُس. لمْ يكنْ لِفئةٍ دُونَ فِئَةٍ. ولا لجَمَاعَةٍ دُونَ جَمَاعَةٍ. فلِمَاذا لا يَتسَاوَى الكلُّ فِي الإثمَار؟. لقدْ أجَابَ الرّبُّ يَسُوعُ على ذلِكَ بمَثَلٍ ذكَرَهُ كلٌّ مِنَ البَشيرينَ متى ومُرقسُ ولوقا. وفِي ذلِكَ المَثَل شَبّهَ الرّبُّ مَنْ يُبشّرُ بالكلِمَةِ ويقدّمُ رسَالة الحَيَاةِ بالزّارع. كمَا قسّمَ السّامِعينَ إلى أرْبَع فِئات. ولقدْ وَصلتْ الكلِمَة إلى قلوبِ الفِئاتِ الأرْبَع فِعْلاً. ولكِنْ لمْ تثمِرْ إلا فِئة وَاحِدَة. وبالتأمُّل فِي أقوَال الرّبِّ عَن الفِئاتِ الأرْبَع نَستخلِصُ دُرُوساً أرْبَعَة لنَا فيهَا فوَائِد رُوحيّة:[٣]

أولاً: شَبّهَ الرّبُّ قلوبَ الفِئةِ الأولى بالطريق المُشَاع.. فإذا ألقيْتَ بُذوراً على الطريق فسُرْعَانَ مَا تأتِي طيُورُ السّمَاءِ وتلتقِط تِلْكَ البُذور. إنّ هذِهِ الفِئة حينَ تسْمَعُ الكلِمَة يَأتِي الشّيطانُ لِلوقتِ ويَنزَعُ الكلِمَة مِنْ قلوبهِمْ. لقدْ وَصلتْ الكلِمَة إلى القلبِ فِعْلاً. ولكِنْ لِلأسَفِ كَانَ القلبُ مفتوحاً لِعَابر السّبيل. إذ كَيْفَ يَسكتُ الشّيطانُ دُونَ أنْ يقِفَ فِي الصّفوف. مُترقباً حتى يَلتقِط أولاً بأوّل مَا يُزرَعُ دَاخِلَ ذلِكَ القلبِ المَفتوح لِكلِّ عَابر لِلطريق الذِى لمْ يَحْرصْ صَاحبُهُ ليَغلِقهُ على اللصُوص المَاكِرينَ. وهلْ يَسكتُ الشّيْطانُ وَهُوَ أمكرُ المَاكرين؟. هلْ يَسْمَحُ لِفرْصَةٍ مَيْسُورَةٍ كهذِهِ لِتفلِتَ مِنْهُ؟. مِنْ أيْنَ تأتِي الثمَارُ وصَاحِبُ القلبِ أعْطى باختيَارِهِ تصْرِيحاً ليكونَ قلبُهُ مُشاعاً لِلجَميع دُونَ رَقيبٍ أوْ حَسيبٍ؟. ليْتنَا نردِّدُ قولَ دَاوُدِ النّبيِّ: "خَبّأتُ كلامكَ فِي قلبى لِكيْلا أخْطِئَ إليْكَ".[٤]

ثانياً: شَبّهَ الرّبُّ قلوبَ الفِئةِ الثانيةِ بالأماكِنِ المُحْجرَةِ.. مكتوبٌ: "حَيْثُ لمْ تكنْ تربَة كثيرَة فنَبَتَ حَالاً إذ لمْ يكُن لهُ عُمْقُ أرْض. ولكِنْ لمّا أشْرقت الشّمْسُ احترَقَ. إذ لمْ يكنْ لهُ أصلٌ جَفّ". تِلْكَ الفِئة مِنَ النّاس حينَ يَسْمَعُونَ الكلِمَةِ يقبلونَهَا لِلوقتِ بفرَح. ولكنْ ليْسَ لهُمْ أصلٌ فِي ذواتِهِمْ بلْ هُمْ إلى حين. فبعْدَ ذلِكَ إذا حَدَثَ ضيقٌ أوْ اضْطِهَادٌ مِنْ أجل الكلِمَةِ فلِلوقتِ يَعثرُونَ. إنّ كلِمَةِ اللهِ تعلِنُ الأخْبَارَ السّارّة عَنِ الخَلاص مِنَ الخَطايَا بالإيمَان

---

[١] إنجيل مرقس ٤:١٧ – ١٩ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] إنجيل متى ٢٠: ١٦ & ٢٢: ١٤

[٣] إنجيل متى ١٣:٣ – ٢٣ ، إنجيل مرقس ٤:٣ – ٢٠ ، إنجيل لوقا ٨:٤ – ١٩

[٤] سفر المزامير ١١٩: ١١

بصليبِ المَسيح. وبهذا يَنجُو المؤمن مِنَ الدّينونَةِ ويضْمَنُ النّعيمَ الأبَدِيِّ. وتعلن أيضاً "أنّ مَنْ ترك شيئاً لأجل المَسيح ولأجل الإنجيل. يَأخُذ مِئة ضِعْفٍ الآنَ مَعَ اضْطِهَادَاتٍ. وفِي الدّهْر الآتِي الحَيَاةَ الأبَدِيّة".[1]

قالَ بُولسُ الرّسُولُ فِي رسَالتِهِ إلى مُؤمِنِي فيلبِّي بالأصْحَاح الأول: "لأنّهُ قدْ وُهِبَ لكمْ لأجل المَسيح لا أنْ تؤمِنوا بهِ فقط بلْ أيْضاً أنْ تتألمُوا لأجلِهِ". مُكافآتٌ مَعَ اضْطهَادَاتٍ وإيمَانٌ مَعَ آلام. ومَنْ لمْ يفهَمْ المَسيحيّة بذلِكَ المَعنَى الصّحيح أساءَ فهْمَهَا. وتعذرَ عليْهِ أنْ يكونَ أميناً مُخلِصاً فِي حَيَاتِهِ كَمَسيحِيّ. لقدْ قالَ الرّبُّ لِتلاميذِهِ: "فِي العَالم سَيكونُ لكمْ ضيقٌ. ولكنْ ثقوا. أنَا قدْ غلبْتُ العَالم". لِذلِكَ لمْ يُفاجأ التلاميذ بالضّيقاتِ والشّدَائِدِ والإضْطِهَادَاتِ وَهِيَ تواجهُهُمْ فِي كلِّ مكَان كانوا يُبَشّرُونَ فيهِ بالأخْبَار السّارّة. إنّ مَنْ يَسْمَعُ كلِمَةَ اللهِ ويقبلُ جُزْءاً مِنهَا ويَرفضُ الجُزْءَ الآخرَ يُعتبَرُ أنّهُ رَافِضٌ لِكلِمَةِ اللهِ بجُملتِهَا. ومَنْ يَأتِي إلى الرّبِّ ليتبَعَهُ ويَرفضُ حَملَ صليبِهِ يُعتبَرُ أنّهُ ليْسَ مِنْ أتبَاعِهِ. إنّ الفِئة الأولى لا تثمِرُ فيهِمْ الكلِمَة لأنّ إبليسَ يُعَطِلُ عَملَهَا فيهِمْ. والفِئة الثانيَة لا تثمِرُ فيهِمْ لأنّهُمْ ليْسُوا على استِعْدَادٍ لإحتِمَال ضيق أوْ اضْطِهَادٍ أو شِدّةٍ إذا تَعَرّضُوا لهَا مِنْ أجل الكلِمَة.[2]

ثالِثاً: شَبّهَ الرّبُّ قلوبَ الفِئةِ الثالِثةِ بالأمَاكِنِ التِي يَنتشِرُ فيهَا الشّوكُ.. ليْسَ لإبليسَ عَلاقة مُبَاشِرَة بهِمْ وإنْ كَانوا على أيِّ حَال مُرتبطين بهِ بعَلاقةٍ قدْ تكونُ غَيْرَ مُبَاشِرَة. وليْسَتْ الضيقاتُ والاضْطِهَادَاتُ سَبَباً مُبَاشِراً فِي عَدَم إثمَارِهِمْ. ولكِنْ السّبَبَ الرّئيسِيّ لِمُشْكلتِهِمْ يَرجعُ إلى أمْر آخَر. وَهُوَ أنّهُمْ سَمَحُوا لإبليسَ بالدّخُول إلى قلوبهِمْ فاحتلهَا. ثمّ قيّدَهُمْ وأصبَحُوا لهُ أسْرَى. إنّهُمْ يَسْمَعُونَ الكلِمَة "وهُمُومُ هذا العَالم وغُرورُ الغِنَى وشَهَواتُ سَائرُ الأشيَاء تدْخلُ وتَخنقُ الكلِمَةِ فتصيرُ بلا ثمَر". لقدْ قالَ الرّبُّ يَسُوعُ عَنهُمْ: "أنّهُمْ مَزْرُوعُونَ بَيْنَ الشّوكِ". إنّهُمْ صِنفان: فقرَاءُ وأغنياءُ. كلُّ مِنهُمَا لهُ شَوكتهُ التِي يُعَانِي مِنْهَا.[3]

إنّ الفقيرَ شَوكتهُ: "هُمُومُ هذا العَالم". وشَوكَة الغَنِيِّ: "غُرُورُ غِنَاهُ".. والاثنَان انْغَرَسَتْ فِي قلبَيْهِمَا بعُمق شَهَوَاتٌ يَزْخَرُ بهَا العَالمُ الشّرِّيرُ. وليْسَ مِنْ عِلاج إلا الإتيَان إلى الرّبِّ. فهُوَ يقولُ: "تعَالوْا إليّ وأنَا أريحُكمْ". إنّ الرّبّ يُريحُ مَنْ يلجَأ إليْهِ فيَهتِفُ مَعَ دَاوُدَ النّبيّ قائِلا: "الرّبُّ رَاعِيّ فلا يُعْوِزُنِي شَيْءٌ". أمّا الغَنِيّ الذِي استغنَى بمَالِهِ فالرّبُّ يُحذِرُهُ قائِلاً لهُ: "أنَا مُزْمِعٌ أنْ أتقيّأكَ مِنْ فمِي لأنكَ تقولُ: أنِّي أنَا غَنِيّ وقدْ استغْنَيتُ ولا حَاجَة لِي إلى شَيْءٍ. ولسْتَ تعلمُ أنّكَ أنْتَ الشّقِيّ والبَائِسُ وفقيرٌ وأعْمَى وعُريَان". ليتنَا نَحترسُ مِنْ الشّوكِ بأنوَاعِهِ المُختلِفةِ لِكَيْ تثمِرَ كلِمَة اللهِ فينَا. ليتنَا نَسْمَحُ لبذار الكلِمَةِ أنْ تعمِّقَ جُذورَهَا فِي قلوبنَا لِتثمِرَ ويَدُومُ ثمَرُنَا.[4]

رّابعاً: شَبّهَ الرّبُّ قلوبَ الفِئةِ الرّابعَةِ بالأرْض الجَيِّدَةِ.. وقالَ عَنْهُمْ أنّ بذارَ الزّارع سقطتْ على أرْض قلوبهِمْ الجَيِّدَةِ. "فأعْطى ثمَراً يَصْعَدُ ويَنْمُو. فأتى وَاحِدٌ بثلاثينَ وآخَرُ بستينَ وآخَرُ بمائةٍ". ثمّ أوضَحَ بشَرْح لِتلاميذِهِ عَنْ تِلكَ الفِئةِ بقولِهِ: "وهؤلاء هُمُ الذينَ زرعُوا على الأرْض الجَيِّدَةِ. الذينَ يَسْمَعُونَ الكلِمَة ويقبلونَهَا ويُثمِرُونَ". لقدْ جَاءَ بإنجيل يُوحنا الأصْحَاح الرّابع مَا قالهُ أهل مَدينةِ السّامِرِيّة للسّامِرِيّةِ التى تقابلت مع الرّبِّ يَسُوعَ عِندَ بئر سُوخَار: "إنّنَا لسْنَا بَعْدُ بسَبَبِ كَلامِكِ نؤمِنُ. لأنّنَا نَحْنُ قدْ سَمِعْنَا ونَعلمُ أنّ هذا هُوَ بالحقيقةِ المَسيحُ مُخلِصُ العَالم". وجَاءَ بإنجيل لوقا عَنْ زكّا العَشّار قولهُ: "هَا أنَا يَا ربُّ أعْطِي نِصْفَ أمْوَالِي لِلمَسَاكين وإنْ كنْتُ قدْ وَشيتُ بأحَدٍ أرُدُّ أربَعَة أضْعَاف. فقالَ لهُ يَسُوعُ: "اليَوْمَ حَصلَ خَلاصٌ لهذا البَيْت". وسَجّلَ سِفرُ أعْمَال الرّسُل عَنْ سَجّان فيلبِّي تِلكَ الكلمَاتِ: "وتهللَ مَعَ جَميع بَيْتِهِ إذ كَانَ قدْ آمَنَ بالله". لقدْ سقطتْ البذارُ على أرْض جَيِّدَةٍ فأثمَرَتْ.[5]

أدْعُوكَ أخِي لتشترِكَ مَعِي فِي تِلكَ الصّلاةِ: أبَانَا السّمَاوِيّ.. أشكرُكَ مِنْ أجل كلِمَةِ الحَيَاةِ الأبَدِيّةِ. هَبْنِي نِعْمَة حتى لا أكونَ سَامِعاً خَادِعاً نفسِي. بلْ سَامِعاً عَامِلاً بالكلِمَةِ. أخَبئهَا دَاخِلَ قلبِي لِكَيْ تأتِي بالثِمَار لِتمْجِيدِ اسْمِكَ وامتِدَادِ ملكوتِكَ. أرفعُ صَلاتِي فِي اسْم يَسُوعَ. مُتكِلاً على وَعدِكَ يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يقبلْ إليّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخِي القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سَمَاعَ تلكَ الرّسَالة أو غَيرهَا ستَجدُ ذلكَ فِي:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] إنجيل مرقس ١٠: ٢٨ – ٣٠ ، إنجيل يوحنا ١٦: ٣٣
[2] رسالة بولس الرسول إلى مؤمنى فيلبى ١: ٢٩
[3] سفر المزامير ٣٤: ٩ – ١٠ & ٣٧: ٢٥ ، رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٦: ٩ – ١١
[4] إنجيل متى: ١١: ٢٨ ، سفر المزامير ٢٣: ١ ، سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى ٣: ١٦ – ٢٠
[5] إنجيل يوحنا ٤: ٤٢ ، إنجيل لوقا ١٩: ٨ – ١٠ ، سفرأعمال الرسل ١٦: ٣٤